

عبد العزيز بن عبد الله
مدير المكتبة الدائمة
للشباب العربي في الوطن العربي

شقاء الريف

413/1

وقصص أخرى

من قصص الكفاح الوطني بالمغرب



النشر
دار النجاشة
بيروت

دار النجاح للطباعة والنشر والتأليف والتوزيع - بيروت - شارع سوريا

... بناية صمدي وصالحه ٣٦ - ص ب ٨٢١٨ - ت: ٢٤٥٨١٢

جميع الحقوق محفوظة

١٩٧٣

بيروت

مُقَدِّمَةُ التَّأْثِيرِ

في هذه المرحلة الحاسمة من حياة أمتنا العربية ، في جميع أرجاء وطننا العربي الكبير .. يجب على كل عربي ، أن يساهم بأقصى ما يمكنه من جهد يتوافق مع إمكاناته وقدراته ، في تحقيق أسباب الصمود والنصر ..

.. ومما يقوي العزائم ، ويشيع الحماس ، ويرسخ الإيمان بحتمية انتصار الحق العربي .. أن نعود الى صفحات التاريخ نقلبها ، ونواكب ركب الكفاح المرير الذي خاضته الأمة العربية ، لتؤكد حقها في الحياة الكريمة ، وتحافظ على استقلالها وحريتها .. تخوض المعارك الضارية ضد الغزاة والمستعمرين، الذين قدموا المرة تلو الاخرى يحاولون استعباد واذلال الشعب العربي في مختلف أقطاره ..

وان تاريخنا لحافل بالآف الشواهد ، عن صمود شعوب الأمة العربية ، وجهادها ، وانتصاراتها ، وقهرها للغزاة ، وطردها للمستعمرين .. فأمتنا خاضت من حروب التحرير ما لم تخضه امة من قبل . وشعبنا العربي اظهر من ضروب الشجاعة والاقدام ، وقدم من قوافل الشهداء ما لم يظهره او يقدمه شعب من قبل - ثمنا للعزة والكرامة والحرية والسيادة ..

هذا التاريخ المجيد للأمة العربية ، الذي يجب ان نعود اليه ، تزداد قوة تأثيره على النفوس، اذا قدم للقارئ في قالب مشوق بدلا من سرده في وقائع جافة .. واعظم ما يكون تأثيرا ، واكثر ما يكون تشويقا ، أن نترك ابطاله يتحدثون

ويقدمون لنا الاحداث والوقائع في سياق قصة سلسلة
الاسلوب صادقة التعبير ..

.. ذلك ما قام به السيد الاستاذ عبد العزيز بنعبدالله،
في هذه المجموعة الشيقة من القصص الوطني ، حيث قدم
لنا بأسلوبه الفذ ، وعباراته الفخمة رائعة المعاني ، صفحات
من تاريخ الكفاح الوطني لشعب المغرب العربي ، ضد الفزاة
الحاquدين والمستعمرين الطامعين ..

.. اباة يأنفون الضيم ، ويفضلون الموت على أن تمس
كرامتهم . ومؤمنون صادقوا الايمان يسعون الى الاستشهاد
في سبيل حرية الوطن . قلوب عامرة بالثقة في الله ونصره
للمؤمنين . نفوس تملؤها نخوة العروبة . واجساد تستعذب
الالام والمشاق في سبيل الحق تضرب الامثال في الصبر وقوة
الاحتمال والاقدام .. انهم ابطال قصص الكفاح الوطني
الطويل ..

وان دار النجاح ، لتعتز بتقديم هذه المجموعة من
القصص الوطني في المغرب العربي ، الى القارئ العربي في
كل مكان .. مساهمة في تأكيد الثقة بامكانية بل وبحتمية
خروج الامة العربية من محنتها ، منتصرة عزيزة الجانب
باذن الله .

احمد رفعت البدرابي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ
فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا » .

صدق الله العظيم

محتويات الكتاب

مقدمة المؤلف

- القصة الاولى - شقراء الريف
- القصة الثانية - الجاسوسة السهراء
- القصة الثالثة - غادة اصيلا
- القصة الرابعة - في هضاب الريف
- القصة الخامسة - الجاسوسة المقنعة
- الفهرست التفصيلي

مقدمة المؤلف

خمس قصص تضيفي طابعا كشافا في قالب روائي جذاب على حقائق تاريخية تعتبر كل منها مرحلة من أبرز مراحل نضال الشعب المغربي في سبيل تحرير أجزائه المغتصبة ودعم سيادته ووحدته ، وكلها انطلاقات جماعية مركزية ضد مغيرين غربيين انتجعوا باسم الصليب اخذ الثار من عرب مسلمين نقلوا الحضارة الى الاندلس وطوروا معالمها ومعارفها في طفرة انسانية عارمة .

وقد شهد مؤرخون غربيون بما افادته أوروبا خلال المصور الوسطى من الوجود العربي في البحر الابيض المتوسط الذي اصبح آنذاك بحر العرب وبحر السلام حيث كان اسطول الموحدين اول اسطول ، وحيث كان شقا العروبة في الشرق والغرب يمدان عن طريقه كثيرا من اقطار أوروبا بنتاج الابداع العربي في العلم والفن والاقتصاد ، ولكن ابت العنصرية الضيقة والشوفينية النازعة الا ان تتكتلا تحت شعار واحد الانقراض على سواحل الشمال الافريقي شرقا وغربا ، فكان الاحتلال الاسباني البرتغالي اول رد فعل ضد الاسلام وحضارة الاسلام ولفة الاسلام . فانطلقت الصليبية في عروبها العارمة تنشر في خطة منسقة - طوال قرون- البؤس والدمار من الشام الى المحيط ، فكان من نصيب المغرب الأقصى هذه الفارات الهوجاء التي تتحدث الروايات الخمس

عن بعض مظاهرها في أسلوب قصصي يصف الأحداث وصفا
دقيقا تتخلله نظرات عن مختلف مجالي الحياة العربية في هذا
الجزء من الوطن العربي بما في ذلك اعتزاز الشعب بدينه
ولغته وتاريخه وحضارته .

وقد كانت معركة « وادي المخازن » او معركة « الملوك
الثلاثة » اولى هذه الانطلاقات التحريرية من شعب لم يعرف
في تاريخه غير الحياة الحرة فكان هو الشعب الوحيد من
سُعوب الوطن العربي الذي تملى بالاستقلال طوال الف عام
لم يزعجه خلالها العملاق التركي ازعاجه للشرق وتونس
والجزائر ، كما لم يزعجه الاستعمار اليبيري (البرتغالي
الاسباني) في الأعماق لأن الوجود الاجنبي لم يتجاوز بعض
ثغور المتوسط والمحيط . . وقد هدفت انتفاضات الشعب
المغربي منذ اوائل القرن العاشر الهجري الى استرجاع هذه
الثغرات التي كان الاستعمار يحاول أن يتسرب منها الى
منابض الاسلام في الاطلس والصحراء . ففي جمادى الاولى
من عام ٩٨٦ هـ (غشت ١٥٧٨ م) وصل الأجناد البرتغاليون
بعرباتهم ومعداتهم الثقيلة الى ارباض « القصر الكبير »
ليركزوا الوجود الاستعماري يساعدهم في ذلك مئات من رجال
الفاثكان وآلاف من الأوربيين المختلفي الاجناس ، فاستنفر
أبو مروان عبد الملك السعدي جيش فاس بقيادة اخيه أحمد
لمواجهة هذا الزحف الذي أحصى مؤرخون معاصرون اعداده
بمائة وخمسة وعشرين الفا ومعداته بمائتي مدفع . . وبدأت
المعركة تتسع في عنف وانحصر الجيش المغير بين قذائف
الانفاض وبين مياه النهر الطافح فتهالك الجند صرعى
وانفمرت الفلول الفارة في اليمّ تثقلها الأزراد الحديدية . .
وانحازت افواج الى اصيلا حيث يربض اسطول من الفني
قطعة . . وكان من بين الفرقى ملك البرتغال الشاب الدون

سبستيان وصنيعه السعدي محمد المتوكل ، واستشهد في
بحبوحه المعركة في موة طبيعية ملك المغرب أبو مروان فبويح
احمد خليفة .

ولم تكن هذه الملحمة الخاطفة سوى معركة بسيطة
ولكنها « كانت فاصلة في تاريخ الصراع بين التعصب الأوروبي
الاستعماري والاسلام » - كما يقول المؤرخ الفرنسي المعروف
هنري طيراس (Henri Terrasse) - لأنها كانت انتفاضة
شعبية انزلت ضربة قاصمة بالطموح البرتغالي وفككت
اوصال دولة البرتغال التي اندمجت في المملكة الاسبانية طوال
ستين سنة حيث لم يترك سبستيان وارثا فخلفه عمه
فليب الثاني ملك الاسبان ، فكانت هذه المعركة شبيهة في
بساطتها بفضوة « طريف » التي قضت على الوجود المريني
في الاندلس ولكن صدمتها في أوروبا كانت ذات ابعاد ..
لان عناية الله ابت الا أن تتسارع دول أوروبا الى خطب ود
المغرب الذي دخل في عهد جديد اتسعت خلاله رقعة المملكة
الى حدود نهر النيجر ، وهبت انجلترا تراود المغرب على
الاشتراك في اكتساح « لوندومنيوم » الهند ولكن المغرب
رفض باباء الاسهام في هذه الغارة الاستعمارية لأنه لم يكن
يستهدف أكثر من تحرير القواعد الأجنبية بالمغرب وتأمين
حدود الجنوب ، وكان السعديون قد مهدوا لكل ذلك بانتزاع
اكادير وأسفي وأزمور من قبضة البرتغال (سنتي ٩٤٧
و ٩٤٨ هـ) .

.. ذلك هو موضوع رواية « غادة اصيلا » التي هي
رواية مسرحية ذات « سيناريو » مركز .

.. والروايات الثلاث « شقراء الريف » و « الجاسوسة
السمراء » و « الجاسوسة المقنعة » تلقي أضواء على الحياة

المغربية وتطفللات المستعمر خلال فترة الانتقال بين السعديين والعلويين ، مما حدا هؤلاء الى الانتفاض بمجرد ما اعتلى البطل المولى اسماعيل اريكة العرش فاسترجع « المهديّة » عام ١٠٩٢ هـ ، ثم وجه جيشه العتيد بعد ثلاث سنوات الى الشمال لفتح « طنجة » (عام ١٠٩٥ هـ) حيث حاصرها واضطر الانجليز الى الجلاء عنها ، وحاصر بعد خمسة أعوام (١١٠١ هـ) مدينة « العرائش » طوال بضعة أشهر الى ان استسلم الاسبان تحت تأثير الألفام المغربية وعددهم نيف وثلاثة آلاف نقل معظمهم الى مكناس عاصمة المملكة اذ ذلك . وبعد ما استقرت الحامية الريفية في « العرائش » حاصر المجاهدون « اصيلا » سنة كاملة ، فلم ير الاسبان بدا من الجلاء عنها بحرا .

اما رواية « في هضاب الريف » فتكشف عن بعض خبايا حرب الريف التي اوجج اوارها البطل الفذ محمد بن عبد الكريم الخطابي وقد دشنت هذه الانطلاقة بمعركة « انوال » التي الحق فيها جيش الريف هزيمة شنعاء بالاسبان يوم ٢١ يوليوز ١٩٢١ بعد اصطدام عنيف استمر ستة ايام فاستنفر الاسبان خمسين الف جندي لتطويق « اجدير » ، وفي يوم ٢٥ مارس ١٩٢٢ تصدت المدفعية الريفية لجيش العدو حول « الحسيمة » ففقد « برانجي » ثمانية آلاف بين قتلى وأسرى ، ودمر فتيان المغرب الأشاوس مراكز العدو وأغرقوا بوارج حربية بمفعول سفينتهم الوحيدة ، وتعرقل الصلح فعاد الخطابي عام ١٩٢٣ الى مراكز العدو يقصفها بين جبل « درسة » و « شفشاون » وكبده هزيمة نكراء حول مدينة « داغيت » فطلبت حكومة مدريد صلحا لم يتم . . وشعرت فرنسا بخطر هذه الاندلاعة التي هددت وجودها في جنوب

المنطقة ففتح قائدها المريشال « ليوطي » جبهة جديدة وطوق الريف فانهزم في « ورغة » ، وعبأت فرنسا طاقاتها لتنسيق الهجوم مع اسبانيا التي كانت حرب الريف قد انهكتها ، وكان الشعب المغربي قد ثار خلال هذه الآونة في الأطلس والحواضر وقاطع الناس مدارس الحماية خاصة بناحية فاس ، فأحست فرنسا بالخطر يهددها لا في المغرب الأقصى فحسب بل في افريقيا بكاملها فحشدت في ربيع ١٩٢٦ اثنين وخمسين جنرالاً ومائة وعشرين ألف رجل واثنين وعشرين سرباً من الطائرات فاضطر الزعيم محمد بن عبد الكريم الى الاستسلام يوم ٢٥ مارس ١٩٢٦ . فكان هذا الاستسلام نتيجة حتمية للتواطؤ الاستعماري اللاتيني ضد المغرب العربي والقارة الافريقية جمعاء .

ولم تكن سوى فترة مهادنة وجيزة تخللتها منذ ١٩٢٤ تجمعات في كبريات عواصم المغرب وتأجج مراض الثورة في الأطلس والجنوب وقيام الكتلة الوطنية منذ عام ١٩٣٢ بحملة سياسية منسقة ادت آخر المطاف الى ثورة الشعب بعد نفي ملكه البطل محمد الخامس عام ١٩٥٢ واحرازه الاستقلال بعد اربع سنوات .

عبد العزيز بن عبد الله